Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

التفاعل الحسي الثوري

بين المتلقي و شعر محمد العيد آل خليفة

Revolutionary sensory interaction

Between the receiver and the poetry of Muhammad Al-Eid Al Khalifa

عبد الحميد معيفي[1] / لخضر حشلافي[2]
[1]جامعة شاذلي بن جديد الطارف/ الجزائر.
[2] جامعة زيان عاشور- الجلفة/ الجزائر.
1- Hamidmaifi17@gmail.com
2- hachelafi2016@gmail.com

المؤلف المرسل : عبد الحميد معيفي الإيميل: hamidmaifi17@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023-07-28 تاريخ القبول : 2023-09-19

الملخص :

كان الشاعر الجزائري في فترة الاستعمار يجاهد بالكلمة التي تزود كل فرد من الشعب بطاقة فعّالة تجعله يُقبل على الموت ولا يبالي في سبيل حرية بلاده, ومن هنا حاولنا في هذا المقال التطرق إلى دور الأشعار وأهميتها في بث الحس الثوري بأعماق كل جزائري منطلقين من إشكالية مفادها: إلى أي مدى يمكن للكلمة الحرة بأن تكون من الأسباب في تحرير الأوطان، وإلى أي مدى تستطيع زعزعة كيان المتلقي فيُقدم على الموت في سبيل الحرية والكرامة مرتكزين في ذلك على نماذج شعرية مشبعة بالحس الثوري من جهة والصدق والجمال الفني من جهة ثانية للوصول إلى نتائج منها:أولا/ يولد الجزائري من رحم المعاناة وتُرضعه الأزمات، فلا يلين ولا يستكين من أجل حريته واستقلال بلاده. ثانيا/ يتجاوز الشاعر الجزائري ذاته ليكتب عن الإنسانية؛ لأنه ببساطة يعشق الموضوعية، ويذوب في المصلحة الجماعية.

الكلمات المفتاحية:

الثورة ـ الحس ـ المتلقي ـ الشاعر ـ النص ـ الحرية

Abstract:

During the colonial period, Algerian poets struggled with words that provided each individual with effective power,Enableing them to embrace death with out concern for the freedom of their country. In this article, weaim to address the role and importance of poetry in instilling a revolutionary spirit withinevery Algerian. Webegin by exploring the question: To whatextentcan free speech be a contributing factor in liberating nations, and how muchcanitdisrupt the identity of the recipient, promptingthem to sacrifice theirlives for freedom and dignity? To achievethis, werely on poeticmodelsinfusedwith a revolutionary spirit, alongsidesincerity and artistic beauty. The results lead us to twoconclusions:Firstly, Algerians are bornfromsuffering and nurtured by crises, remainingsteadfast and unyielding in theirpursuit of freedom and independence. Secondly, Algerian poetstranscendthemselves to write about humanitybecausetheysimply adore objectivity and mergeinto the collective interest

Keywords:

Revolution - Sentiment - Recipient - Poet - Text – Freedom

مقدمة:

تعد الثورة الجزائرية من أعنف و أقوى و أخلص الثورات الخالدة على مرّ التاريخ ؛ لأنها كانت وليدة ظروف خاصة جدا و قاهرة جدا ، حيث عانى الشعب الجزائري منذ دخول الاستعمار بلادنا الطاهرة من قتل و تشريد و تنكيل فذاق الشعب جميع ألوان العذاب و التعذيب و الحرق للأجساد والغابات و المنازل والمحتشدات، فكونت هذه الهمجية الظلماء الفتّاكة في نفس الجزائري شيئا من التحدي للنيران الحارقة و القنابل المدوية وجعلته يصنع لنفسه كيانا خاصا اسمه الشجاعة والبسالة والاستمرارية و ظهر ذلك في العديد من الأشعار التي دعت لتكاتف الشعب و تحدّيه و صبره وذلك بدعمه بالعبارة الصادقة التي تزيده إصرارا ، و من بين الشعراء"**محمد العيد آل خليفة**" ، الذي شهد المواقع الحقيقية و الكبرى لمجريات الحرب في الجزائر على يد المستدمر الغاشم ليكتب شعره بدماء قلبه بدلا من مداد قلمه .

1-الجانب النظري :

يظل الشعب الجزائري أبيا شجاعا مقداما، لأنه ساعة الجد والحسم و المواقف البطولية تجده يترك كل شيء من أجل الحرية ،فهو قد رضع النخوة والشهامة مع حليب الأمهات ، وستظل هذه السمات فطرية في دم الجزائري ، فهو شعب لا يرضى الخنوع ولا الظلم ،و يفضل الموت على الحياة الذليلة ، فهو شعب خلق كبيرا ومن وليدا كبيرا سيبقى على مدى الأزمان كبيرا.

و أن لطبع وطبيعة الجزائري دورا كبيرا في ذلك ،ويكمله دور الشعراء والكتاب في رفع نسبة التحدي والصمود أمام جميع الموجات العاتية في نفسية الجزائري في كل لحظة و أخرى وهذا التذكير من شأنه أن يعزز الطموح و يعليه ، فيصبح سقف الطموحات عاليا و غاليا وثمينا ،و هذا بفضل الكلمة الصادقة التي ذكرنا سلفا بأنها تزيد في لهيب النيران بصدر كل جزائري ، وهذا الأمر ينتج فعلا حينما يصبح "**...شاعرنا لا يعيش لنفسه ،و إنما يعيش لمواطنيه ،و قد يمتد بصره إلى مثل أعلى فيعيش للإنسانية ، و هو في ذلك جميعه ينفصل من عالم الذاتية و الفردية ،و يلحق بمحيط أوسع يتصل فيه بالناس و ممن هم يعيدون عنه.**"[1]

فالشاعر ابن بيئته تؤثر فيه ويؤثر فيها أي أن بإمكانه أن يرفع من الهمم لدى أفراد مجتمعه و من شأنه كذلك أن يغير وجهة نظر العديد والكثير منهم تجاه فكرة معينة ،و أيضا دوره يتجاوز كل ذلك فيمكنه أن يتجاوز مرحلة التصديق أو التكذيب ،وإنما يتجاوز بفكره الراقي كل ذلك و يصل إلى مرحلة الإقناع ، فليس المهم أن تصدق الشاعر،فالأهم أن تقتنع بما قال و تعمل به،ويصبح القول تطبيقا ،ويصبح الشاعر هو الناطق الرسمي بلسان شعبه ،و يصبح الهدف أكثر مشاركة لأن الشاعر هنا أصبح جزءا من أمته ،و كذلك فهو يئن معهم ويحزن لأجل حزنهم و يفرح لفرحهم و بذلك يكون هو الملاذ و طوق النجاة.

ولذلك يجب على الشاعر أن يدافع عن حق شعبه بكل جرأة و إخلاص فالشعب يكون قريبا من أي شخص يحمل له بذرة الأمل ،و لذلك فهم من يحاولون التقرب أكثر" **وحري بالشاعر أن يفكر أول ما يفكر فيمن يعيش معهم وفي آلامهم وكوارثهم و أن يهب لهم شعره ،و أن يجعله منفذا للتعبير**

حقوقهم الإنسانية من جهة ،وكالما يراه فيهم من معايب من جهة أخرى " (2)

فهذا هو أسلم و أصح طريف يمكن للشاعر أن يسلكه حتى يصل إلى القلوب ويخاطبها مباشرة دونما واسطة أو طائل يمنعه فيجد الشاعر ذاته التي طالما يبحث عنها في كل صدر و في كل بيت،ولهذا وذاك نجد أن الشعوب التي انتصرت في الحروب على أعدائها كانت أسباب الانتصار هو التآلف و الاتحاد بين كل عناصر المجتمع المدافع،فيكون الدفاع موحدا و شاملا وموجها و كأنه صادر من عزيمة رجل واحد.

فالشعب الأبي تكفيه كلمة صادقة يحسها قبل أن يسمعها معبرة عن آلامه لأن الإحساس بالألم من شأنه أن يعزز مكانة المحسَ ،لأن هناك شعور بالكينونة و الوجود و الإخلاص و المحبة الصادقة ،و بهذا تلتحم كل الأمور و تنصهر فيصبح الهدف مشتركا.

- **العمل الإبداعي ومدى أثره :**

يظل العمل الإبداعي حاملا دلالته الخاصة ، والعامة سواء أكان شعرا كقصيدة عمودية أو حرة أو كان عملا نثريا كرواية أو قصة أو خاطرة أو مسرحية ،و سينقل كل جنس بخصائص تمكنه من الاستمرارية إذا حقق هدفه ،و تنوع الأهداف إذا كانت لدى صاحبه نظرة كافية واستشرافية فيكون لهذا العمل أثره الإيجابي والدال والعميق على نفس المتلقي فـ" **ليست عملية الاتصال بالعملية البسيطة مهما بسطناها و إنما هي عملية مركبة و معقدة ،فهي من حيث المبدأ علاقة أو حدث تنطوي أو ينطوي على عناصر ،إن صح القول ،المرسل ،الرسالة ،المرسل إليه ،وأي رسالة تتضمن هدفا أو ترمي إلى غاية و تحقيق غرض**" (3)

و هناك من المبدعين من يوظف الرمز في عمله فيتطلب جهدا من المتلقي حتى يصل إلى الدلالة في بعض الحالات،و في الواقع نجد في معظم الكتابة انسجاما تاما بين النص و المتلقي ،و قد يعود ذلك إلى أن المرسل يكلم المتلقي مباشرة موضحا كل الأمور بطريقة بسيطة وواضحة و كذلك لم يتعب المتلقي في الوصول إلى المعنى ،لأن في الأصل " **الإبداع عملية تفاعلية قوامها الاحتكاك المباشر والإيجابي بين الفرد و الجماعة ،فهو لا يتم في فراغ ...يندفع المبدع بنشاط غايته خفض حالات التوتر التي تتشابه و إعادة التوازن ... مع انغماس المبدع في عمله يتزايد التوتر الدافع ...**" (4)

وكلما كان الموضوع الذي طرقه المبدع مهما كلما كان جهدا المبدع فيه جليا و بارزا ،أي أن انفعال المبدع يكون ظاهرا على سطح العبارات ،وهذا في العادة نجده في الكتابات الثورية و التي نحن بصدد التكلم فيها ،وبصدد تناول بعض النماذج لواحد من الشعراء الجزائريين الكبار الذين أجادوا بالكلمة ،و كانت هذه الكلمة أشد من الرصاص و أعنف من ضربة سيف ،و لذلك تأججت النيران بوجدان الشعب الجزائري ،كما أنها احتدمت بوجدان الشاعر لأنّ الشاعر هو جزء من هذا الشعب ،و قبل أن يعرفه يجب عليه أن يدرسه و يعرف غاياته و طموحاته ،وماذا ينقص هذا الشعب حتى يتمكن الشاعر من تحديد الغاية التي يريدها هذا الشعب وهذا يعود بالدرجة الأولى إلى " ....**مقدرته على إمتاع المتلقي وجذبه نحو موضوع ،وفي حيث قدرته على أن يجعل لموضوعه لدى المتلقي**

الوظيفة نفسها أو قريبا مما يراه هو أو يخلعه عليه "[5]

هذا من جهة ،ومن جهة ثانية نجد الموضوع هو الذي يفرض نفسه ،فعندما يكون للموضوع المطروق صدى واسع و أهمية بالغة لدى الشعب فبطبيعة الحال يسهل الأمر كثيرا لدى المبدع ،وما عليه إلا صياغة ذلك في قالب إبداعي ملفوف في ثوب لغوي و يكون بين ثنايا أسلوب متميز خاص بالمبدع نفسه ،و هذا الأسلوب له من الاستقلالية و التفرد ما يمكنه من الوصول إلى قلب المتلقي ،ليجد المتلقي نفسه منقادا وراء هذه الكلمات مطبقا نصائح المبدع ،لأن الإحساس الصادق وصل قبل النطق بالكلمات،و هذا هو السر الحقيقي في تفوق إبداع عن أخر،فربما نجد إبداعا أفضل من إبداع ،و لكن الأول لا يصل و لا يؤثر أما الثاني فنجده يصل ويؤثر بسرعة .

ونجد بعضا من الأعمال قد تكون متوسطة أو دون الوسط في البناء الزخرفي ،و لكنها تصل إلى قلب المتلقي و تؤثر فيه لأنها ببساطة قد احتوت على مميزات و أولها الأسلوب ،فالأسلوب هو " **الشخص ذاته "...فالأسلوب في جماليته و تناسقه و تفرده إنما هوثمرة من ثمرات تعاطي اللغة و ازدياجها و تفاعلها ،و ما يقع بين ألفاظها من ملاعبة في نظام نشاطها الطبيعي الذي يمكن تشبيهه بحركة الصبي العشوائية التي لا تلبث أن تعتدي مفهومه ،بل ربما ذات دلالة بعيدة ..."** [6]

وإذا أحس المتلقي بأن هذا الأسلوب قد نُسج من أجله سوف يكونالتأثير أكبر وأعمق ،لأنه لم يجد بينه و بين المبدع حائلا بالعكس من ذلك وجد قربا و اتصالا غير مباشر ،فأحس فعلا أن هذا العمل قد كان عبارة عن ثوب قام المبدع بتفصيله و نسجه بحسب مقياس المتلقي ،و لهذا نجد المتلقي يحس بأنه قد ذاب في هذا العمل بل يريد دوما قراءة أو الاستماع إليه ،لأنه وجد فيه نفسه، فالمبدع الذي لا ينسج في إبداعه نسيجا خاصا بمجتمعه يعتبر مبدعا بعيدا عن تحقيق الأهداف إذا كانت هناك أهداف ،فالنص بناء نفسي قبل أن يكون بناء بالكلمات و الجمل ،و على المبدع أن يركز على الجانب النفسي الروحي إن أراد أن يكون لكتاباته بعدا و أثرا طيبا .

وهذا ما سنلاحظه في بعض كتابات " **محمد العيد آل خليفة** " الشعرية التي نراها حماسا كلها ، فهي حاملة لواء المجد ووسام الفخر والاعتزاز بالوطنية القومية لأنها ببساطة حاملة للحس الثوري الذي يلهب عزيمة الصغار قبل الكبار.

- **الجانب التطبيقي :**

سيبقى العمل الإبداعي ترجمة صادقة في جل الأحيان عند البعض من المبدعين الذين لا يبدعون من أجل الإبداع ،ولا من أجل أن يقال عنهم بأنهم مبدعون ،و لكن إبداعهم يأتي بحسب مجريات و مقتضيات يفرضها واقعهم المعاش ووضعهم الذي حتّم عليهم و أصبح من الواجب عليهم أن يُظهروا ذلك و يبرزوه ليتجلى في إبداعاتهم حتى يتسنى للمتلقي القريب منهم و الذي يعنيهم أمره بأن يستفيد و يتعلم و يأخذ النصيحة من ذاك العمل و يعمل بها و من خلالها حتى يصل و يحقق الهدف .

فالعمل الإبداعي قد يكون دافعا للتخلص من عبء ثقيل يؤرق هذا الإنسان أو يخلصه من مشكلة شخصية ،فيلتفت إلى ذاك العمل الإبداعي سواء أكان شعرا أو رسما أو نحتا أو نثرا فيجد فيه الملاذ و

السند الذي يعينه حتى يمر من تلك الحالة أو من تلك التجربة ،و هذا ما نجده في شعر " **محمد العيد آل خليفة** " مبثوثا بين ثنايا عباراته و متلألئا بين زوايا نصوصه ،فشعراء العرب الكثير منهم عانى ويلات الاضطهاد مع شعبه ،و كذلك تجد في شعره جميع أنواع العبارات التي تمثل السلاح الحقيقي الذي يرفعه في وجه الأعداد حتى يثبت بأن هناك مقاومة ،و هناك وجود لشعب يريد التحرر ،فالألم الكبير يولد من رحمه الشعر الكبير ،و سيظل هذا الشعر كبيرا فعلا و خالدا ،لأن الأجيال المتعاقبة ستظل على مر الزمن تردده و تتغنى به .

و نجد الشاعر " **محمد العيد آل خليفة** " يئن و يصدر هذا الأنين محملا باللوم و العتاب حين يقول :[7]

ملّت فراشي نفسي واستوحشت منه ساحا
كأنني رهن سجن لم أرجُ منه سراحا
كأن نخبي شوكا يشوكني أورصاحا
ظمآن أنشدُ ماء يُشفي الغليلا قراحا

يُظهر الشاعر حاله وحال كل جزائري غيور على وطنه و على أرضه وغيور على ما آلت إليه حاله، فالمستدمر الغاشم جعل حياة الشاعر مؤلمة حزينة كلها ملل ووحشة،فهو مكبّل الإرادة ،لا يتصرف بحرية برغم أن الأرض أرضه والدار داره و لكن هذا الوضع أزّم حياة الشاعر لأنفراشهأشواك ورماح تنخر جسمه ،و هو عطشان يبحث عن شربة ماء كي يبل بها ريقه ، ووظف الشاعر"الماء" في البيت الرابع ، وهو الذي يدلّ على الصفاء والحياة فالشاعر متلهف للحياة والصفاء اللذان فقدهما منذ دخل المستدمر بلاده واحتلّ أرضه وكيانه .

فحينها يقرأ الشعب هذه الكلمات يحس فعلا بالمعاناة التي يكابدها الشاعر لأن هذه هي المعاناة التي يكابدها الشعب ،ولكن لم يستطع أن يعبّر عنها بهذا الشكل،فكل فرد من أبناء الشعب يحس أن هذه الأبيات وكأنها كُتبت من أجله هو بالتحديد وبذلك سوف يتضمنها بقلبه قبل أن يحتضنها بعقله وبصره ،و يقول في قرارة نفسه أصابني الملل و الوحشة حتى يسبب لي القهر والذل و الهوان وأن الذي أعيش على أرضي ،و الماء الرقراق يتلألأ أمامي و أنا محروم منه ،و كذلك يجب علي أن أتمتع بهذا الماء العذب الصافي و لن أترك غيري يتمتع به و يشربه ،فهو ليس من حقه.

ونجد الشاعر الصادق في مشاعره تجاه شعبه المظلوم يكون منهم و إليهم ،فهو يكتب عن حالته ووضعه في بلاده المحتل،و لكن هذه الحالة و هذا الوضع هو في الحقيقة وضع كل فرد من أبناء الشعب، لأن كل شاعر حقيقي و صادق" **....ينطلق من ذاته إلى تقديم رؤية للحياة أو الكون من خلال نفسه بوصفها مفردا من مفردات الحياة** " [8]

هذا ما حاولنا الوصول إليه منذ البداية بأن الشاعر الحقيقي يرى نفسه جزءا من وطنه و فردا من أفراد شعبه ،بذلك يجب عليه أن يبدأ بنفسه قبل أن يبدأ بغيره فهو القدوة والمثال الحي الذي يجب الاقتداء به،و هذا ما يجب فعله ، هو المساندة ولو بالكلمة الصادقة التي من شأنها أن تبعث في الروح النار و الدفء في الوقت نفسه،وتبعث الحيرة والاطمئنان فهي التي تمثل جميع المتناقضات في لحظة الدهشة المؤجلة والتي تكون سبب شرارة الانطلاق ، أو عامل ينزع الغشاوة عن الوجوه

الحائرة، فتتعرى الأشياء و تنكشف ،و يعرف كل فرد أين يقف ،وما عليه فعله .

ويُعلنها الشاعر في هذه الأبيات إعلانا صريحا وواضحا وجذريا وهي رسالة جهادية موجهة لشعبه، لا يتردد في البوح بهاو لا يبالي بأي شيء حتى يجد نفسه على أرضه الطاهرة ونجد الشاعر يطلب من المرأة بأن تقف بجانب الرجل حاملة السلاح ومعلنة التحدي والصمود أمام الدبابات والرشاشات حين يقول: (9)

ساهمي في الجهاد جند الجهاد ...وأعدي العدا لنصر البلاد

يا فتاة البلاد شعبك نادى...فاستجيبي بعزمة للمنادي

كيف يرضى الجمود من كان حيا... ليس يرضى الجمود غير الجماد

فلنثر ثورة على الظلم كبرى...ولنحطّم سلاسل الأقياد

يبدأ الشاعر أبياته بفعل أمر (**ساهمي**)الذي يعود على الجند ،وهو موجه إلى كل فرد من الشعب ،فكلنا مجندون لحماية هذا الوطن ،و كلنا سوف نموت إذا احتل ،و كلنا سوف ننعم بالحياة إذا انتصرنا ، وهذه هي رسالة الشاعر في البيت الأول ،فالجهاد هو الحل و السبيل الوحيد لكي ننتصر ونحرر بلادنا و الشاعر لم يعد يخاطب المذكر لأن المذكر في الجبل ،فهو صار يخاطب المؤنث بقوله (**يا فتاة البلاد**) و هذا التحديد في البيت الثاني في قوله : (10)

يا فتاة البلاد شعبك ينادي ... فاستجيبي بعزمة للمنادي

يرمز إلى الاتحاد والتكاثف ؛لأن في الاتحاد قوة ، فالخطاب في البيت موجه للمرأة قائلا: إذا احتاجك شعبك لا بد أن تلبي نداء الوطن و تصعدي إلى الجبل بعزيمة و تنسي بأنك أنثى ،بل أنت جندي يحمل السلاح و يدافع عن وطنه الغالي و الذي بتحرره تعاد لنا كرامتنا جميعا .

ففي رسالة الشاعر تحديد خاصموجه ومحدد لكل امرأة قادرة على حمل السلاح بأن تتوجه إلى الجبل مباشرة و تلتحق بأخيها ،فالمصير مصيرهما معا، فالحس الثوري عند الجزائري لا يقوي العزائم ويشحذ الهمم فقط ،بل سوف يشعل و يذيب كل من حوله بتكاثف الجهود وانسجام العقول وتعانق القلوب؛وهذا ما أراده الشاعر من خلال رسالته الشعرية والتي تحمل بين ثناياه الحماس الفياض والأمل المشرق الملفوف بالإصرار.

كما أعطى الشاعر الدليل القاطع ،و ذلك برسم صورة كنائية في البيت الثالث حين يقول : (11)

كيف يرضى الجمود من كان حيا ... ليس يرضى الجمود غير الجماد

وبالفعل قد صدق الشاعر ،فالإنسان الحي أو الذي يريد الحياة لا يبقى جامدا بل سيدافع عن هذا الحق المسلوب ،فهو ليس حجارة صماء لا تعي ،وإنما هو كائن حي ،و الكائن الحي لابد أن يثبت بأنه جدير بهذه الحياة ، ولذلك عليه أن يتمسك بها إلى آخر قطرة من دمه الثمين والغالي ،وذلك باستغلال عقله ويمكنه تفكيره السليم من الوصول إلى بر الأمان ،بعدما كان في حيرة من أمره .

والصورة في الشطر الثاني هي صورة لوم و عتاب قاتل و مدمر فالشاعر يقول: في المعنى إن الحجارة هي التي ترضى بأن تظل حجارة ،أما أنت فأنت

إنسان حي ولذلك لا ترضخ للموت ،أو الذل فالذل و الهوان هما أبشع و أقوى فتكا من الموت الحقيقي ،فالموت سوف ينهيه ،أما البقاء تحت سيطرة المستدمر فهو أبشع وأفضع من الموت ،فالشاعر دخل بأعماق وجدان الشعب،و صار جزءا من كيانه ،لأنه ذاب في هذه القصيدة و" **إن أي مفرد من مفردات الحياة أو الكون بما فيها الشاعر نفسه عندما يدخل في بناء القصيدة يصبح جزءا من الصورة الفنية التي تشتمل عليه ،ولا يمثل شيئا غير ذلك** " [12]

وهذا ما لاحظناه و خاصة في هذه الأبيات حيث انطلق الشاعر من نفسه ليتجلى صدقه و محبته التي ليس لها حدود لشعبه ووطنه و أرضه،ونجد الشاعر في هذه الأبيات يوضح و يبرز بأن المجد لا يأتي والنصر لن يتحقق بالجلوس والانتظار،فجلوسك و انتظارك نهايته موتك أو يعني ذلك وانكسارك، ونجد الشاعر في هذه الأبيات يبرز الأمنيات وكيفية تحقيقها ، فهي لا تحققها الكلمات لوحدها . بلمع المخاطرة و المواجهة حين يقول :[13]

رأيت المنايا سبيل المنى... فخاطر تصب منيه
إذا زلزلت بالخطوب البلاد...فلا حذر في حذر أو تقيه
تولى زمان الرضى والهوان ... ووافي زمان الفدى والضحية

فالشاعر يعلنها مدوية في وجه كل متخاذل أو متغافل و هذا الكلام موجه لكل إنسان غيور على أرضه وعرضه ،فالوصول إلى الأهداف ليس بالأمر البسيط و الهين ، فهذا الوصول يجب أن يكون قبله جد واجتهاد واستعداد ويتوج ذلك بعمل جاد في حياتنا العادية أما حين تواجه مستدمر يريد أن يقتلع جذورك و يحرق الأخضر و اليابس ، و يسرق الأرض و العرض و يقتل و يفتك بالصغير قبل الكبير فالأمر يصبح مختلفا ، و لذلك الشاعر حذّر و نصح أفراد شعبه و ذكرهم بالحقيقة التي يجب أن يعيها كل فرد منهم ،وهي أن الحذر يؤدي إلى التهاون و التهاون يؤدي إلى الهوان ،ويكشف الأمر بقوله حينما تتزلزل الخطوب فلا ينفعك الحذر ،بل ما ينفعك هو المواجهة ،و في المواجهة كما نعلم جانبان إما أن يموت الإنسان مدافعا عن كرامته و أرضه و عرضه ،ويُكتب مع الشهداء و إما يتحرر و ينتصر و يُخرج العدو الغاشم من أرضه ،إذا فلا خيار بين الأمرين ،وكذلك يبين لهم بأننا لم نعد نرضى بذاك الذل ،فلقد صبرنا كثيرا و حان زمان تقديم النفس إلى الموت في سبيل الشهادة والحرية و حانت ساعة التضحية بالنفس و النفيس فلا جدال و لا نقاش في ذلك .

ومنه نجد أن هذه الكلمات تنزل على قلب الجزائري كالمطر الذي ينزل على الأرض العطشى فيرويها ويغذيها وينعش جذورها ،لتتأجج المشاعر ويلتهب الحماس في الصدور ويصير الحلم قريبا ونجد هذه الأبيات تمثل أكبر دافع و كأنها بمثابة الوقود الذي يدفع السيارة ،و الشاعر يلتفت إلى شعبه مناديا إياه و كأنه يعلم بأن نداءه سيصل إلى أعماق الأعماق حين يقول : [14]

فيا أيها الشعب الذليل أماترى...لجارك هما بالسيادة مولعا
بنو الغرب حاز و عالم الأرض كله ... وإن لهم في عالم النجم مطمعا
بلادك في الدنيا تلادك فأرعها...وحاذر على أكنافها أن تروعا

وأرضك في الأوطان أمك فأحبها...ببرّ ففي أخلافها عشت مُرضعا

ونجد الشاعر يزيد في الحماس الثوري للشعب حينما يخاطبه مباشرة و دونما واسطة قائلا : " له التفت إلى جارك هدفه التفوق و العلو و السيادة فهو أصبح ملكا على الأرض و يريدأن يحتل الفضاء ،و يمتلك النجوم السابحة و المجرات و الكواكب ،فه قد زاحم النجم و يسعى لأخذ مكانه ،و يذكّر الشاعر الشعب بقيمة البلاد والتي تمثل"السند و المأوى" ،و كذلك يقدم نصائح ثمينة وغالية قائلا: يجب عليك أن تهتم بأرضك فهي بقاؤك وعرضك،فحين ترعاها و تحافظ عليها فأنت ترعى و تحافظ على نفسك ،فالأرض هي ذاتك و أصلك و هويتك ،و إياك أن تفرط فيها لأنك إذا ضيعتها فلا وجود و لا أثر لك ،فزوالك مرهون بزوالها ،و بقاؤك مسلّم ببقائها ،فهي أمك التي تحميك و تغذيك بحنانها ومودتها وعطفها ،فلا تكن أنت بخيلا معها.

فهذا العمل الفني نتاج اجتماعي قبل أن يكون نتاجا فرديا أو خاصا،فهو ابن الجماعة ،فمن الجماعة انطلق و إليها عاد و **" من الجلي أن الطريق الأفضل يسير نحو تعريف العمل الفني من خلال التجربة الاجتماعية و الجماعية "** [15]

وبالفعل نجد أعمال الشاعر هدفها الوحيد في هذه الحالة هو الحرية ، فالشاعر على يقين بأن تحرر الشعب هو تحرر لكل شيء ، وهو كذلك تحرر للنص الشعري في حد ذاته ، فالنص ولد من الشعب،فهو ابن تجربة حقيقية مؤلمة ظهرت و تجلّت للعالم أجمع، وقد كابد فيها الشعب الجزائري شتى ألوان العذاب ،و لكنه شعب لا يشتكي ،فقد يتمهل قليلا و يتأنى و لكن هذا التمهل و التأني فيه تأمل الذات و مراجعة النفس حتى يصبح الطريق أكثر وضوحا في هذه الأثناء والشاعر لم يترك فترة التأني تطول، لأنه يعلم بأن التمادي في التأني سيوّلد الركود، ولذلك نجده في كل مرة يُذكّر و يعيد التذكير ، معلنا و ناصحا و مرشدا بأن الحرية ثمنها غال و يحب استرداده مهما يكن الثمن،و إلا لن تعود و لن ينعم شعب الجزائر العظيم بالهناء و السعادة .

ويتغنى شاعرنا بعلم بلاده الجزائر، رمز الحرية و السيادة ،و رمز البطولة و العزة حين يقول : [16]

علم الجزائر يا رفيع الشان... أشرقو رفرف زاهي الألوان

يا ضوء بصري ونور بصيرتي ... ياعز نفسي يا هوى وجداني

و أسخرن لك الجوارح كلها ... ولأخذ منك خدمة العبدان

و أصميني عليك من نفسي ومن ... يسمو بها وطني على الأوطان

إن مثل هذا الكلام النابع من الوجدان محملا بكل مشاعر السمو و الرفعة مشاعر الحب والإخلاص تجاه الراية التي من خلالها نسعد ،و من خلالها ننعم بالحياة الكريمة ،الحياة السامية النقية فالشاعر يخاطب العلم ،و يقول له إن قيمتك كبيرة و مكانتك في القلب متميزة فيجب أن تكون مثل الشمس في العلوو الأهمية و المكانة و يجب أن تزهو بألوانك التي ترمز إلى الأصالة و الهوية فأنت البصر لمن أراد النظر و أنت المنى لمن أراد ركوب الخطر و يعد الشاعر العلم بأن يسخر حياته خدمة لك ، لأنك تستحق كل التضحيات ، لأنك رمز للوطنية و أنت تمثل وطني الذي يسبح في الفضاء حرا طليقا

متجاوزا جميع الأوطان الأخرى لأنك الأغلى في كل الأماكن والأزمان و الأثمن و الأجمل و الأحلى في القلب والعقل الوجدان.

خاتمة:

من بعد محاولة السباحة في مجال الثورة والأشعار الثورية وجدنا أنفسنا أمام أنفسنا ، ولذلك تكلمنا في جانب نظري تكلمنا فيه عن الشعب الجزائري الأبي وكيف تعامل مع مجريات وأحوال المستدمر الغاشم ، ثم تطرقنا إلى أمور تخص الشاعر ذاته بصفته عنصرا وفردا من الشعب، وكذلك تكلمنا عن العمل الإبداعي ومدى تأثيره الإيجابي على نفسية المتلقي الذي يعشق الحرية ، وفي الجانب التطبيقي حاولنا السباحة مع بعض المقاطع الشعرية الثورية لنصل في الأخير إلى العديد من النتائج ومنها مايلي:

1/ الشعب الجزائري من أنبل الشعوب في العالم وأكرمها وأشجعها، شعب لا يحب الظلم وإن ظُلم فلن يهدأ إلا إذا استرد حقه.

2/ يظل الأدب الجزائري حقلا خصبا تُزرع فيه جميع أنواع البذور، وتضرب جذورها في عمق الأرض معلنة عن ميلاد أشهى الثمرات بعدما ترعرعت النباتات في أمن وثبات.

3/ الفرد الجزائري بن الأزمات يرضع من ثدي النكبات وتحتضنه أعنف الهزات ، ولذلك لا يلين ولا يستكين في المطالبة بحريته واستقلاله.

4/ الشاعر الجزائري مصنوع من طينة الكبار، فهو لا يُفكر ولا يكتب لنفسه بقدر ما يكتب عن معاناة وآلام شعبه متجاوزا كل ذلك فيصبح بنظرته العميقة يحيط بأمر الإنسانية كلها، لأنه ببساطة يعشق الموضوعية ويذوب في المصلحة الجماعية.

5/تظل الأعمال دونما رسائل أعمالا بتراء، وجل الأشعار التي قيلت في الفترة الاستعمارية هي وليدة ذلك الاستعمار ليصير كل نص من النصوص الشعرية شبكة من الاتصالات المعقدة لا يفهم رموزها إلا أصحاب الشأن، ليظل النص الشعري الجزائري نصا خاصا موجها لمتلقي خاص أيضا.

6/ يُعتبر أسلوب الشاعر الجزائري أسلوبا متميزا بصدقه وموضوعيته وبحزنه وفرحه، فه أسلوب الجماليات والإيحاءات الدالة على عمق الإحساس الثوري لدى الشاعر الذي هو جزء من المجتمع.

7/ المقاطع الشعرية كُتبت بغبار القنابل وبألسنة النيران المتصاعدة في الجبال الثائرة، لتكون حممها بركانية تذيب الأخضر قبل اليابس.

8/ لا فرق بين الرجل والمرأة عند الشاعر، فهما صارا واحدا، ليصير الشعب الجزائري كله فردا واحدا لتتحرر بذلك الجزائر وستظل أمة واحدة برجالها ونسائها وأبنائها وبناتها، ويظل الشعب الجزائري شعب العزة والكرامة والشجاعة والشهامة.

الهوامش:

(1) شوقي ضيف ،دراسات في الشعر العربي المعاصر ،مكتبة الدراسات الأدبية ،دار المعارف ،ط 07 ،القاهرة ،مصر ، ص 62

(2) المرجع السابق ، ص 62 .

(3) إسماعيل الملحم ،التجربة الإبداعية ،منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ،سوريا ،2003 ، ص 09 .

(4) إسماعيل الملحم ،التجربة الإبداعية ، ص 26 .

(5) إسماعيل الملحم ،التجربة الإبداعية ، ص 25 .

(6)عبد المالك مرتاض :في نظرية الأدب ،دار هومة للنشر و التوزيع ،الجزائر ،2002 ، ص 164 .

(7) ديوان محمد العيد آل خليفة ،إعداد أبو ياسر الجزائري ،دار الهدى ،عين مليلة ،الجزائر ،2010 ،ص 45

(8) محمد حماسة عبد المطلب ،اللغة و بناء الشعر ،دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ،القاهرة،مصر،2001 ،ص 70 .

(9) ديوان محمد العيد آل خليفة ، تحقيق أبو ياسر الجزائري، ص 392 .

(10) المرجع السابق ، ص 392 .

(11) ديوان محمد العيد آل خليفة ،تحقيق أبو ياسر الجزائري ،ص 392 .

(12) محمد حماسة عبد المطلب ،اللغة و بناء الشعر ، ص 70 .

(13) ديوان محمد العيد آل خليفة ،تحقيق أبو ياسر الجزائري ، ص 380 .

(14) ديوان محمد العيدآلخليفة ،تحقيق أبو ياسر الجزائري ، ص 171 .

(15)رينبية و يليك و أوستيوارين ، نظرية الأدب ،ترجمة محي الدين صبحي ،المؤسسة العربية للدراسات و النشر ،بيروت ،لبنان ، 1987 ، ص 157

(16) ديوان محمد العيد آل خليفة ، ترجمة أبو ياسر الجزائري ، ص 403 .

قائمة المصادر والمراجع:

01- شوقي ضيف ،دراسات في الشعر العربي المعاصر ،مكتبة الدراسات الأدبية ،دار المعارف ،ط 07 ،القاهرة ،مصر .

02- إسماعيل الملحم ،التجربة الإبداعية ،منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ،سوريا ،2003 .

03- ديوان محمد العيد آل خليفة ،إعداد أبو ياسر الجزائري ،دار الهدى ،عين مليلة ،الجزائر ،2010.

04- عبد المالك مرتاض :في نظرية الأدب ،دار هومة للنشر و التوزيع ،الجزائر ،2002

05- محمد حماسة عبد المطلب ،اللغة و بناء الشعر ،دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ،القاهرة،مصر،2001 .

06- رينبية و يليك و أوستيوارين ، نظرية الأدب ،ترجمة محي الدين صبحي ،المؤسسة العربية للدراسات و النشر ،بيروت ،لبنان ، 1987 .